كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الأوربي الوسيط

الرؤى الأوربية عن الإسلام والمسلمين
من القرن التاسع حتى نهايات القرن الحادي عشر الميلادي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الأوربي الوسيط

مقدمة من الباحث

سامر سيد محمد حسين قنديل

المدرس المساعد بالقسم

إشـــــراف

الأستاذ الدكتور/
اسحق تاوضروس عبيد
أستاذ التاريخ الأوربي الوسيط المتفرغ
بكلية الآداب جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور/
عبد العزيز محمد عبد العزيز رمضان
أستاذ التاريخ الأوربي الوسيط
بكلية الآداب جامعة عين شمس

القاهرة
٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلْمًا ﴾

صدق الله العظيم

(سورة طه الآية ١١٤)

كلية الآداب
قسم التاريخ

صفحة العنوان

اسم الطالب: سامر سيد محمد حسين قنديل

الدرجة العلمية: الدكتوراه

القسم التابع له: التاريخ

الجامعة: عين شمس

سنة التخرج: ٢٠٠٢م

سنة المنح: ٢٠١٦م

جامعة عين شمس
كلية الآداب

رسالة دكتوراه

اسم الطالب : سامر سيد محمد حسين قنديل
عنوان الرسالة : الرؤى الأوربية عن الإسلام والمسلمين من القرن التاسع حتى نهايات القرن الحادي عشر الميلادي

اسم الدرجة: (دكتوراه)

لجنة الإشراف

الاسم : أ. د/ اسحق تاوضروس عبيد
الوظيفة : أستاذ التاريخ الأوربي الوسيط المتفرغ بكلية الآداب جامعة عين شمس
الاسم : أ. د/ عبد العزيز محمد عبد العزيز رمضان
الوظيفة : أستاذ التاريخ الأوربي الوسيط بكلية الآداب جامعة عين شمس

تاريخ البحث : / /
الدراسات العليا
ختم الإجازة أجيزت الرسالة
بتاريخ

/ / / /

موافقة مجلس الكلية موافقة مجلس
الجامعة

/ / / /

الإهداء

إلي روح أمي ... أسكنها الله فسيح جناته

إلي روح جدتي ... التي رحلت قبل أن ترى ثمرة عطائها

إلي والدي ... مِشعل العطاء ورمز التضحية

إلى إخوتي ... محبة ووفاء

إلي زوجتي ... المِرفأ الذي آوي إليه

إلي غدي القادم؛ عمر وأحمد وآدم... علّه يهديهم لطريق العلم

الفهـــــرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	أ- ز
قائمة المختصرات	ح - ل
التمهيد: الآخر والهُوية في العصور الوسطى • مُقاربة منهجية • الآخر والهُوية في بواكير العصور الوسطى • تجليات الآخر	١- ٣٣
الفصل الأول: الجذور: روافد الرؤى الأوربية عن الإسلام والمسلمين • التقاليد القديمة: الكلاسيكية والعبرانية • الإسماعيليون والهاجريون والسراقنة: الدمج بين التقاليد في الكتابات الكنسية • المسيحية الشرقية ورد الفعل للفتوحات الإسلامية • رد الفعل الأوربي للفتوحات الإسلامية في القـــرنين الســـابع والثـــامن المـــيلاديين: (الفتوحات الإسلامية في رواية فريديجار – رؤية إنجليزية للعالم الإسلامي – المدونات الأسبانية المبكرة)	٣٥ - ١٠١
الفصل الثاني: الرؤى الأوربية عن المسلمين بين إيدولوجيات الهُوية وضرورات السياسة • الإمبراطورية والهوية • التهديد الإسلامي وتشكُل صورة العدو • المسلمون في الحوليات الإيطالية • صورة المسلمين بين العلاقات الدبلوماسية والتأثير الثقافي	١٠٣ - ١٥٣
الفصل الثالث: العقيدة الإسلامية ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم في الرؤى الأوربية • الإسلام في الكتابات الاعتذارية والجدالية • حركة "شهداء قرطبة" • الإسلام في الكتابات اللاهوتية والجدالية	١٥٥- ١٩٥

الفصل الرابع: الرؤى الشعبية وإرهاصات الحرب • السياسة الكنسية والمحاولات التنصيرية • صورة المسلمين بين النبوءة وادعاءات الاضطهاد • الأدب الشعبي وتجسيد البطولة المسيحية في مواجهة المسلمين	١٩٧ - ٢٤٥
الخاتمة	٢٤٧-٢٥٢
الخرائط	٢٥٤- ٢٥٦
قائمة المصادر والمراجع	٢٥٨ - ٢٩٤

الشرق والغرب، الدين والسلطة، المعرفة والسياسة، الأصالة والمعاصرة، التعددية والهُوياتية وغيرهم كُثر؛ ثنائيات تاريخية، وربما إنسانية، تتقاطع وتتجاذب حيناً، وتتضاد في أحايين أخرى. وقد حفزت جاذبية ثنائية "الأنا" و"الآخر" الباحثين في حقل الدراسات التاريخية على سبر أغوارها وتتبع تحولاتها، ورصد فترات اتصالها وانقطاعها، ولا يكاد باحث إلا ووقع أسيراً لمظهرها البراق ولداخلها المعقد. ويبدو أن أكثر تلك الثنائيات ظهورا هي المرتبطة برؤية الأديان لبعضها، وفكرة كل منها عن نفسها وتصوراتها عن غيرها. إذ أن تلك المجتمعات تضع نفسها في علاقتها مع الآخر في مكانة، ليست مختلفة فحسب، بل أيضا أسمى، وأكثر إنسانيه، وأكثر تحضراً وتقدماً، كما أنها ترى نفسها وكأنها وحدها التي تمتلك الحقيقة، وأنها يجب أن تقود كل الثقافات.

وإذا كانت الصورة التي تُكون الرؤية تعبر عن ثقافة الأنا وإدراكه لهويته؛ فإن البحث في مسألة الهوية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأبحاث الصورة، ويتداخل بالمثل مع دراسات علم النفس الاجتماعي عن مسألة "الهوية الجماعية"، ومدى إمكانية الحديث عن وعي جمعي للأمم والشعوب. وفي هذا السياق كانت الهوية المسيحية الرومانية، التي تشكلت ملامحها في شطر الإمبراطورية الغربي منذ القرن الرابع الميلادي، بمثابة المرآة التي عكست تصور عالم المسيحية اللاتينية عن الأنا من جهة، ورؤيته للآخر من جهة أخرى. وبالرغم من تعدد العناصر التي ساهمت في تكوين الهوية الأوربية، فإن المواجهة مع الإسلام كانت جوهرية في تشكيل نظرة الغرب الأوربي للعالم.

ولم يكن للإسلام والمسلمين في أوربا العصور الوسطى صورة واحدة بل عدة صور متباينة أحياناً ومتطابقة في أحايين أخرى، غير أنها كانت متعددة الروافد ومختلفة الجذور ومُتغيرة ومتغايرة بحسب البيئة التي نشأت فيها، والمتلقي لها، وكذلك الخطاب الذي أنتجها. ولم يكن ممكناً الإلمام بالمفاهيم والمصطلحات، وحتى الصفات التي استخدمتها كتابات العصور الوسطى لوصف المسلمين، دون الرجوع إلى الأصول التي استمدت منها معلوماتها وشكلت فكرتها عن الآخر. ومن ثم قادت هذه الضرورة المنهجية إلى التمهيد بفصل عن المفاهيم الخاصة بالآخر والهوية، وتجليات الآخر في

عالم المسيحية المبكرة، بُغية الكشف عن ملامح الصورة التي رسمتها الكتابات اللاتينية المسيحية في أوائل العصور الوسطى للآخر، وكذلك موقف المجتمع منه، ودور الكنيسة في دمجه أو إقصائه. وحتى يمكن الزعم باستمرار الأفكار المتوارثة وتحولها إلى مسلمات، كان يجب البحث في روافد الرؤى الأوربية عن الإسلام، ورصد دورها في تشكيل صورة المسلمين في الفترة محل البحث.

ويمكن تصنيف المعلومات المتناثرة عن الإسلام والمسلمين في الحوليات التاريخية من حيث اهتمامها بالعالم الإسلامي إلى أربعة أنماط. الأول منها يقدم صورة للمسلمين بوصفهم عدو، لم يكن الوحيد، بل الأكثر ظهوراً ، وحاولت هذه الكتابات توظيفه في سياق الهوية، واستخدامه لتدافع به عن إيدولوجياتها. والثاني كتابات حولية لم تختلف عن سابقتها في تشكيل صورة للمسلمين كأعداء، غير أنها لم تتأثر بسياق الهوية، وإنما كان لواقع حالتها السياسية دور في تشكيل تصوراتها وانطباعاتها عن المسلمين. وتمثل الحالة الإيطالية خير مثال على ذلك، وتكشف عن تأثرها بهوياتها الإثنية وولاءاتها السياسية أكثر من خضوعها لسياقات الهوية الجماعية، فقدمت صورة ربما أكثر موضوعية من سابقتها.

أما النوع الثالث فهي الكتابات الجدالية واللاهوتية التي جعلت من العقيدة الإسلامية وحياة الرسول (ص) موضوعاً لها، وجاء الإسهام الأبرز في هذا السياق من الكتابات الاعتذارية الأسبانية في القرن التاسع الميلادي. ويتجسد النمط الرابع من هذه الكتابات في التراث الشفاهي الذي يعبر عن الثقافة الشعبية، ويعكس واقع حياتها، وتصورها عن الأخر. هذا النمط الذي كان بمثابة البوتقة التي استوعبت وصهرت تراث الكتابات اللاهوتية والتاريخية عن الإسلام والمسلمين، وقدمته في شكل رؤية ليست بالضرورة واقعية، وإنما متسقة مع نفسها وأكثر وضوحاً من غيرها.

وقد ظل جهد الباحثين المشتغلين بالعلاقات بين الشرق والغرب منصباً على دراسة الرؤى الأوربية عن الإسلام بداية من القرن الثاني عشر، ولم يركزوا اهتمامهم على الفترة التي تسبق القرن المذكور، ودراسة ردة فعلها على ظهور الإسلام، ورصد

الاستجابة الأوربية للتحدي الإسلامي. ومع النصف الثاني من القرن العشرين أعاد الباحثون النظر في هذه الفترة، ونوهوا إلى أهميتها، وإلى الدور الحاسم الذي لعبته كتابات تلك الفترة في رسم الصورة التي انطبعت في ذهن الغرب عن المسلمين، ورصدوا امتدادها في الفترات اللاحقة لا سيما عصر الحروب الصليبية.

وقد شهد هذا الحقل المعرفي زخماً من الدراسات التي تعرضت لدراسة صورة الإسلام في الكتابات اللاتينية، وإن ظل محور اهتمامها القرن الثاني عشر، وقليل من الباحثين الذين ولوا وجوههم شطر الفترة المبكرة. وفي السياق ذاته، وبرغم الإسهامات العربية في هذا المجال، تكاد تخلو المكتبة العربية من دراسة ترصد التغيرات والثوابت في الرؤى المسيحية اللاتينية عن الإسلام والمسلمين، وتركز على تحليل كتابات اللاهوتيين والمؤرخين الكنسيين في عالم المسيحية الكاثوليكية.

ومن هنا كان اختيار الباحث للفترة من القرن التاسع وحتى نهايات القرن الحادي عشر، لدراسة الرؤى التي كونها الغرب الأوربي عن الإسلام، وذلك للوقوف على تطورات هذه الرؤى حتى وصلت إلي الرغبة في هزيمة الإسلام واحتلاله، الأمر الذي دمغ العلاقة بين الشرق والغرب بسمة "الصراع" حتى نهاية العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة. ويأتي ربط الدراسة بين مفهوم الهوية وصورة الآخر، والبحث عن وعي المعاصرين بمسألة الهوية، كمحاولة لإيجاد إطار يمكن من خلاله قراءة النصوص وتحليلها، وليست بالضرورة هي الواقع التاريخي المجرد. ويقبل الباحث في هذا السياق النقد والتفنيد، بل وحتى الهدم لهذا الإطار المنهجي الذي اتبعته الدراسة.

وتحتوي الدراسة على تمهيد وأربعة فصول ومقدمة وخاتمة؛ جاءت على النحو التالي:

<u>التمهيد: "الآخر والهوية في بواكير العصور الوسطى</u>". فيقدم فيه الباحث مُقاربة منهجية عن فكرة الآخر والهوية في العلوم الاجتماعية، ومكونات الهوية ومراحل تكوين الصورة. ويتناول كذلك، فكرة الهوية الأوربية والنظريات المؤسسة لمفهوم "الأنا" و"الآخر"، ومدى وعي كتاب العصور الوسطى بهويتهم وتمايزها عن

هويات أخرى. وهنا تبرز قضية تأصيل جذور الشعوب الجرمانية، وَرَد أصولها العرقية للقارة الأوربية وربطها بالمسيحية. وتناقش هذه المقدمة المنهجية الإرهاصات الأولى لتشكل الهوية المسيحية الرومانية، وأثرها في التعامل مع الآخر الذي تجلى في الوثنيين واليهود والهراطقة.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: الجذور: روافد الرؤى الأوربية عن الإسلام والمسلمين. هناك استمرارية ثقافية تشكل إطاراً مرجعياً ثابتاً وواضحاً، سواء أكانت حقيقية أو موهومة، وسواء نظر إليها بوصفها تمتد بحركة متصلة أم عبر قطائع، فالمهم هو وظيفتها على صعيد الوعي. وفي السياق الأوربي تقف الخلفية الثقافية والمعرفية المستعادة من التراث الأوربي ذات روافد متعددة، وهو ما سيتم معالجته في هذا الفصل. ويشتمل على النقاط التالية: التراث اليوناني–الروماني وأثره في تشكيل الرؤى القروسطية عن المسلمين، والعرب في العهد القديم، والآباء اللاتين وتصوراتهم عن العرب، والخلفية البيزنطية وامتدادها في الغرب، والأوربيون وظهور الإسلام، ورد الفعل الأوربي للفتوحات الإسلامية.

ويتناول الفصل الثاني: الرؤى الأوربية عن المسلمين بين إيدولوجيات الهوية وضرورات السياسة. في الأعوام القليلة التي خلت من القرن الماضي وبدايات هذا القرن تم طرح قضية الهوية الأوربية في العصور الوسطى علي ساحة البحث التاريخي، وخرجت هذه الدراسات بنتيجة عامة مؤداها أن الهوية الأوربية تشكلت ملامحها الأولى خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وشهد عصر شارلمان البدايات الأولى لها. ويتناول الفصل العلاقة بين اللقب الإمبراطوري وسيطرة إيدولوجيات الهوية على الكتابات التاريخية، وهو ما أثر على خطابها عن الإسلام والمسلمين. وتأتي الحوليات الإيطالية لتقدم صورة – تتواءم مع حالة شبة الجزيرة الإيطالية – لم تتأثر بفكرة الهوية، ولذا فهي تندرج تحت ضرورات السياسة. وبالمثل تأتي العلاقات الدبلوماسية والتأثير الإسلامي الواضح على الثقافة اللاتينية في إطار

ضرورات السياسة، ولم تُغير العلاقات الدبلوماسية ولا التلاقُحات الثقافية في الملامح الرئيسية للرؤى الأوربية عن الإسلام.

ويناقش الفصل الثالث: العقيدة الإسلامية ورسول الإسلام (ص) في الرؤى الأوربية. ويتناول الفصل إشكالية غياب الاستجابة الجدلية من واجهة الرؤى الأوربية للإسلام في الفترة محل البحث، ويناقش آراء الباحثين الحديثين بهذا الخصوص، كما يتناول الفصل الحالة الأسبانية كاستثناء في القارة الأوربية، حيث جسدت الكتابات الاعتذارية والجدالية للحركة المعروفة باسم "حركة شهداء قرطبة"، حالة المقاومة المسيحية للحكم والثقافة العربية، ورفض العيش في ظل السيادة الإسلامية. ثم يتطرق الفصل لإشارات الكتابات اللاتينية عن العقيدة الإسلامية ورسول الإسلام (ص) في الأعمال اللاهوتية والتاريخية.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: الرؤى الشعبية وإرهاصات الحرب. وفيه يرصد الباحث التغيرات التي ألمت بالقارة الأوربية في القرن الحادي عشر، وأثرها على صورة المسلمين. كما يناقش سياسة الكنيسة اللاتينية تجاه المسلمين، وأسباب غياب البعثات التنصيرية المنظمة والمباشرة في الفترة محل البحث. ثم تعرضت الدراسة لدعاوى الاضطهاد الإسلامي لمسيحيي الشرق، وكيف رسمت هذه الأخبار صورة للمسلمين استخدمت فيها الاجتزاء والتشويه لتبرير الحرب. كذلك يتعرض الفصل لصورة المسلمين في النبوءات التي انتشرت مع نهايات القرن العاشر وبدايات الألفية الثانية. وأخيرا يتناول الفصل صورة المسلمين كما عكستها الرؤية الشعبية متمثلة في أنشودة رولان، التي جسدت البطولة المسيحية في مواجهة المسلمين، وقدمت سبباً عادلاً لشن الحرب عليهم.

وفي النهاية لا يجد الباحث الكلمات التي تعبر عن عظيم فخره وامتنانه لأن يقرن اسمه كتلميذ، تتلمذ على يد شيخ مؤرخي تاريخ العصور الوسطي الأوربية في الشرق العربي؛ الأستاذ الدكتور إسحق عبيد، أستاذ التاريخ الأوربي الوسيط بكلية الآداب جامعة عين شمس، الذي لم يغلق بابه يوما في وجه طلابه، ونَعِم الباحث برعاية

وترحيب أستاذه وإجابته على الإشكاليات التي واجهته. فيتقدم الباحث للأستاذ الكريم بخالص الشكر وأسمى آيات الامتنان راجيا الله أن يطيل في عمر أستاذنا ويهبه الصحة والعافية.

ومن الحق الاعتراف بأن هذا العمل ما كان ليرى النور لولا المجهود الكبير والمتابعة الدقيقة ومراجعة الأفكار وتوخي الدقة في كل صغيرة وكبيرة من الأستاذ الدكتور عبد العزيز رمضان أستاذ تاريخ العصور الوسطي بالقسم. فقد ساند الباحث في كل مراحل البحث، ولم يمل من الاستفسارات والمناقشات والمراجعات التي تخص الموضوع وإشكالياته، ولولا المساندة الصادقة من سيادته لما قدر لهذا لفكرة هذا العمل أن تكتمل، هذا فضلا عن إمداد الباحث بكل ما يحتاجه من كتب ومقالات من مكتبته الخاصة. فيقدم له الباحث عميق شكره وخالص تقديره.

والشكر كل الشكر للعالم الجليل؛ الأستاذ الدكتور حسين محمد عطية أستاذ تاريخ العصور الوسطي بكلية الآداب جامعة طنطا علي تفضل سيادته بالموافقة علي مناقشة الباحث، ولما سيقدمه سيادته من ملاحظات سوف تثري هذا البحث وتثمنه حتى يخرج عملاً أكاديمياً قيماً بإذن الله. كما لا يسعني إلا التقدم بعميق الامتنان والشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور طارق منصور، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالقسم الذي تعلمت منه الكثير منذ أن كنت طالباً لسيادته في السنة التمهيدية للماجستير، وعلى متابعته الدائمة، ودعمه المتواصل، فله مني كل الشكر والتقدير. كما يشكر الباحث لسيادته موافقته علي المشاركة في الحكم علي الدراسة، فله مني كل شكر وعرفان.

ويشكر الباحث أساتذته وزملائه بقسم التاريخ، على دعمهم المتواصل ومساعدتهم الصادقة طيلة فترة الدراسة، ويخص الباحث بالذكر الأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق على رعايته الدائمة وأبوته الحانية ونور علمه وقلبه المتوهج دائماً، فله مني كل حب وتقدير وعرفان بالجميل، وعسى أن أكون دائما عند حسن ظنه بي. وكل آيات التقدير والعرفان لأستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة محاسن الوقاد رئيس قسم

التاريخ، على ما أفاضت به عليّ من كرم وجود وفضل أرجو من الله ألا تضام أبدا، فلها مني ومن زملائي كل الشكر والتقدير.

ويتوجه الباحث بالشكر إلي كل من مد يد له العون والمساعدة من الأساتذة والباحثين الأوربيين؛ الدكتور ألفونسو ماريني Prof. Alfonso Marini أستاذ العصور الوسطى بقسم تاريخ وثقافة وديانة العصور الوسطى Departemento di Storia, Cultura, Religioni Medio Evo بكلية الآداب والفلسفة Faculta de Lettere e filosofa جامعة روما La Sapienza، والدكتورة كوردولا وولف Cordula Wolf أستاذ مساعد دراسات العصور الوسطي بالمعهد التاريخي الألماني بروما، ويشكر الباحث كذلك الصديق الدكتور دانيال كونيج Daniel König أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعة هايدلبرج بألمانيا، والباحثين فرانشيسكو وباولا بجامعة سابينسا. ويتقدم الباحث بالشكر إلي الأصدقاء مع حفظ الألقاب: أحمد فاروق، وعمر عبد المنعم، ومحمود شعبان، ومحمد زايد، وحسام طنطاوي، وهاني مبارز، ووليد محمد، ومحمود عبد الله، وأسامة إستقلال، ونجلاء منير وفلورا أكرم، ويوسف فهمي، وعلي محمود، وكل من مد يد العون والمساعدة ولم يسع المقام لذكرهم.

كما يتقدم الباحث بالشكر لأمناء مكتبات؛ كلية الآداب جامعة عين شمس، مكتبات كلية الآداب والفلسفة جامعة روما La Sapienza، المعهد البابوي للدراسات الشرقية بروما Pontificium Insittutum Orientalium Studiorum، المعهد التاريخي الألماني بروما Istituto Storico Germanico a Roma، مكتبة كلية الدراسات الشرقية بجامعة روما Faculta di Studia Orientale.

وأخيرا أتقدم بخالص حبي وتقديري لعائلتي الصغيرة زوجتي وأطفالي، وعائلتي الكبيرة أبي وزوجته وإخوتي، وأتقدم بشكر خاص لوالدي أطال الله في عمره لما قدمه لنا من دعم وعطاء متواصل آمل من الله أن يؤجر عليه، وأن يهبه الصحة والعافية والعمر المديد.

قائمة المختصرات

AB	*Analecta Bollandiana*
ACB	*Actes du Colloque de Bordeaux*
AÉSC	*Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*
AHR	*American Historical Review*
AHSS	*Annales Histoire, Sciences Sociales*
AJT	*The American Journal of Theology*
AMM	*The American Mathematical Monthly*
ASCH	*American Society for Church History*
B	*Biblica*
BISIME	*Bullettino dell'Istituto Storico Italiano per IL Medio Evo*
BSl	*Byzantinoslavica*
BZ	*Byzantinische Zeitschrift,*
C	*Cithara*
CCM	*Cahiers de Civilization médiévale*
CH	*Church History*
CMH	*Cambridge Medieval History, 8 vols. (Cambridge 1936 ff).*
CSEL	*Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum*